مقومات الدولة القوية

كما تعرضها قصة ذي القرنين

د. علي عبدالكريم شهوان*

(*) أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن – جامعة طيبة – المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية.

ملخص البحث

يُعنى البحث بدراسة مقومات الدولة القوية من خلال قصة ذي القرنين، وقد سبقَ الحديثَ عن هذه المقومات التعريفُ بذي القرنين باختصار، واستخراجُ حِكَم ورود الإجمال في قصته.

ثم شرعت الدراسة في تفصيل ما تم استخراجه واستنتاجه من مقومات لها شأنها في بناء دولة قوية متينة محافظة على هيبتها في أعلى مستوياتها.

واعتمدت الدراسة تقسيم مقومات الدولة القوية إلى مقومات تشريعية، ومقومات شخصية، ومقومات سببية، سواءٌ كانت وهبية أم كَسْبية، ولا علاقة لترتيب المقومات الذي سارت عليه الدراسة بالترتيب التدريجي لقيام دولة قوية.

الكلمات المفتاحية:

القرآن العظيم، المقومات، الدولة القوية،، التمكين في الحُكْم، ذو القرنين، يأجوج ومأجوج.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. وبَعْدُ:

فقد شغَل القصص القرآني مساحة كبيرة من القرآن الكريم، وهذه المساحة تُبْرِز أهمية القصص القرآني، والحِكَم العظيمة التي يمكن الوقوف عليها أو استخراجها، ولا شك أن حِكَم القصص القرآني جزء من حِكَمِ القرآن الكريم التي لا تنتهي، ولا يحُدُّها زمان أو أشخاص.

ولقد نتج عن مساحة القصص القرآني الكبيرة اهتمام كبير تناسب طردياً معها، فأخذت حيِّزاً كبيراً من الدراسات القرآنية في شتى الجوانب، ولعل من التكَلُّف العاجِز محاولةُ عدِّ أصول الدراسات التي قامت على القصص القرآني فضلاً عن فروعها.

ومن بين القصص القرآني الذي حظي باهتمام متنوع من الدراسات والأبحاث بعيداً عن كتب التفسير- قصة ذي القرنين، سواء كانت دراسات مستقلة لجوانب محددة فيها، أو ضمن دراسات تحدَّثَت عن سورة الكهف بشكل خاص.

وتأتي هذه الدراسة لتبرز واحداً من جوانب قصة ذي القرنين، وهو: «**مقومات الدولة القوية كما تعرضها قصة ذي القرنين**».

ومن جمال قصة ذي القرنين أنها أظهرت مقومات الدولة القوية من جوانبها الكلية، فتحدَّثَت عن أسس قيامها، وعملية بنائها، وتنظيمها، ووسائل تعهُّدها والمحافظة عليها قوية متينة، كل ذلك في خطوات منتظمة متماسكة.

قال السعدي: «فكان عند ذي القرنين من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء والتوفيق من الله له بذلك»[1].

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**»، تحقيق: محمد زهري النجار، المؤسسة السعدية، الرياض، ج٥ ص٧٤.

ولقد اقتضت طبيعة العمل، وتمشياً مع المعلومة التي تخدم الدراسة أن يكون النقل عن المتأخرين أكثر من النقل عن المتقدمين، وأن تَرْجِح كفة النقل عن بعض المفسرين أكثر من غيرهم.

الدراسات السابقة:

رغم البحث عن دراسات سابقة تخدم الموضوع إلا أنني لم أقف على دراسة بحثت مقومات قيام الدولة القوية من خلال قصة ذي القرنين، وجُلُّ الدراسات السابقة عبارة عن فوائد متفرقة في كتب التفسير، خصوصاً المتأخرة منها، أو دراسات تحدَّثَت عن مقومات الدولة القوية بشكل عام، دون حصرها في قصة ذي القرنين.

وبذلك يكون هذا البحث مدخلاً جديداً يضاف إلى الدراسات القرآنية في بناء الأمة القوية.

مشكلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

إلى أي مدى يمكن الاستفادة من قصة ذي القرنين في قيام دولة قوية تُهاب ويُحْسَب لغضبتها ألف حساب؟

ما أهم المقومات التشريعية لقيام دولة قوية؟

ما أهم المقومات الشخصية لقيام دولة قوية؟

ما أهم المقومات السببية لقيام دولة قوية؟

هل يمكن الاكتفاء بالمقومات الكسبية دون الوهبية لقيام دولة قوية؟

أهداف الدراسة:

يمكن إجمال أبرز أهداف الدراسة فيما يلي:

١. استخراج حِكَم ورود بعض الإجمال في قصة ذي القرنين، فالقرآن الكريم لم يبيِّن تفصيل التعريف به، أو الزمان الذي عاش فيه، أو البلاد التي جابها، وأبقى التساؤلات

مفتوحة حول طبيعة يأجوج ومأجوج، إلى غير ذلك من الأمور التي تثير فضول العقل.

٢. الاستفادة من منهج القرآن الكريم في بناء الأمة بناءً متكاملاً من خلال واحدة من القصص القرآني، ومدى انعكاس ذلك على باقي القصص الذي يخدم ذات الموضوع، من ذلك قصة سليمان – عليه السلام –، وقصة موسى – عليه السلام – مع فرعون، وغيرها.

٣. الوقوف على أهم الصفات القيادية الكسبية للحاكم والرعية، وربطها بالمقومات الوهبية وجوداً وعدماً.

٤. بيان عالمية مسؤولية الدولة المسلمة، وأن هذه المسؤولية لا تتحقق إلا من خلال دولة قوية، تُحِقُّ الحقَّ وتُبْطِل الباطل، وتنتصر لدين الله تعالى، وتفزع لنصرة المظلومين.

٥. تسليط الضوء على مواطن القوة والضَّعف في الأمم من خلال قصة ذي القرنين، والاستفادة من توجيهات القرآن الكريم في تنمية مواطن القوة، وتدارك مواطن الضَّعْف.

منهجية الدراسة:

اقتضت طبيعة البحث اتباع المنهج العلمي القائم على:

١. المنهج الاستقرائي: وهذا تطلب استقراء قصة ذي القرنين، واستقراء مجموعة من كتب التفسير، وكذلك استقراء الكتب والمجلاّت العلمية التي تخدم البحث.

٢. المنهج التحليلي: وذلك بالدراسة التحليلية لما تم جمعه.

٣. المنهج الاستنباطي: وذلك باستخلاص النتائج بعد تحليلها، وتسجيلها حسب ما يقتضيه منهج البحث العلمي.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة.

المبحث الأول: تعريف ومدخل. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خلاصة التعريف بذي القرنين.

المطلب الثاني: حِكَم ورود قصة ذي القرنين إجمالاً.

المبحث الثاني: المقومات التشريعية لقيام الدولة القوية كما تعرضها قصة ذي القرنين. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مُقَوِّم التمكين في الحُكْم.

المطلب الثاني: مُقَوِّم نصرة المظلوم والاستجابة إلى ندائه.

المطلب الثالث: مُقَوِّم الاستماع إلى رأي الغير واعتماد مبدأ الشورى قبل اتخاذ القرار.

المطلب الرابع: مُقَوِّم عزل الباطل وتحجيمه ومحاصرته حتى لا يتمادى على أهل الحق.

المطلب الخامس: مُقَوِّم محاصرة الباطل وشغله في نفسه.

المبحث الثالث: المقومات الشخصية لقيام الدولة القوية كما تعرضها قصة ذي القرنين. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مُقَوِّم الحزم في اتخاذ القرارات والأخذ على يد الظالم ومكافأة المُحْسِن.

المطلب الثاني: مُقَوِّم العلم والمعرفة بجميع أشكالها.

المبحث الرابع: المقومات السببية لقيام الدولة القوية كما تعرضها قصة ذي القرنين. وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: مُقَوِّم مَنْح الأسباب.

المطلب الثاني: مُقَوِّم اتباع الأسباب ومتابعتها.

المطلب الثالث: مُقَوِّم عدم الركون إلى المال.

المطلب الرابع: مُقَوِّم التعلُّق بأن الفضل يأتي من عند الله تعالى.

المطلب الخامس: مُقَوِّم توظيف الطاقات واستخراج المكنونات وعدم التواكل على الغير.

المطلب السادس: مُقَوِّم حاجة القوة إلى التَّعَهُّد والمتابعة للمحافظة عليها وإبقائها.

الخاتمة.

المبحث الأول

التعريف بذي القرنين وحِكَم ورود قصته إجمالاً

تمهيد:

بما أن الدراسة متعلقة بموضوع محدد من قصة ذي القرنين، والتزاماً بالموضوعية التي يقتضيها منهج البحث العلمي، فإنها ستتركز على موضوعها الرئيسي وهو: «**مقومات الدولة القوية كما تعرضها قصة ذي القرنين**»، بعيداً عن التطويل في المقدمات، خصوصاً أن عموم كتب التفسير تحدَّثَت عنها، من ذلك التعريف بذي القرنين، والأرض التي حَكَمَها، والزمان الذي عاش فيه، وغيرها من الأمور التي لا تكاد كتب التفاسير تتجاوزها أو تهملها تحقيقاً ودراسة ونقداً؛ لذلك ستكون الوقفة فيها بعيدة عن التطويل، مقتصرة على المفيد في الدخول إلى صلب الدراسة.

المطلب الأول: خلاصة التعريف بذي القرنين

من خلال الاستقراء الموسَّع لكتب التفسير يتبينَّ أن أكثر المفسرين تحدَّثوا عن شخصية ذي القرنين، وسبب تسميته بذلك، والزمان الذي عاش فيه، والأرض التي حكمها وامتدت فتوحاته إليها، ويتبينَّ أيضاً أنهم اختلفوا في ذلك اختلافاً كبيراً.

وقد أشار ابن عاشور إلى عِظَم هذا الاختلاف بين المفسرين، وبحث في أسبابه، وعزاها إلى القُصَّاص، وعدم سلوكهم منهج التحقيق. فقال: «اختلف المفسرون في تعيين المسمى بذي القرنين اختلافاً كثيراً تفرقت بهم فيه أخبار قَصَصِيَّةٌ، وأخبار تاريخية، واستراوح من الاشتقاقات اللفظية، ولعل اختلافهم له مزيد اتصال باختلاف القصّاصين الذين عُنوا بأحوال الفاتحين عناية تخليط لا عناية تحقيق، فراموا تطبيق هذه القصة عليها...، ولكن القرآن جاء بالحق الذي لا تخليط فيه من حال الرجل الذي يوصف بذي القرنين، بما فيه إبطال لما خلط به الناس بين أحوال رجال عظماء كانوا في عصور متقاربة، أو كانت قصصهم تُساق مساق من جاسوا خلال بلاد متقاربة

متماثلة، وشوهوا تخليطهم بالأكاذيب»[1].

ومع أن ابن عاشور وجمع من المفسرين ممن سبقوه أو لحقوه نقدوا الخوض في روايات القصاصين، والآراء المتراكمة في تفاصيل شخصية ذي القرنين، وزمانه ومكانه و...، إلا أن ذلك لم يمنعهم من إبداء آرائهم وترجيحهم في الموضوعات ذاتها، فنرى منهم من يرجِّحُ -في الغالب- شخصه وزمانه ومكانه.

وبعيداً عن أقوال المفسرين واختلاف أقوالهم وآرائهم وكثرة نقولاتهم، يمكن إجمال بعض الحقائق التي تُبنى عليها معرفة شخصية ذي القرنين وقصَّته ولا غنى عن إدراكها، وذلك كما يأتي:

أولاً: تركيز القرآن الكريم على صفات ذي القرنين وأفعاله، قال أبو زهرة: «وكان من حقنا أن نكتفي بمعرفة صفاته وأفعاله، ولا نحتاج في فهم ذلك إلى معرفة شخصه، أو من أي قبيل هو، فإن ذلك لا يزيد علماً بالقرآن ومعانيه، كما لا يهمنا شخصية فرعون موسى، ولا في أي قرن من الزمان كان بعثه»[2].

ثانياً: كان ملكاً صالحاً عادلاً، وقد دلَّ على ذلك عموم الآيات التي تحدَّثت عنه، ومما يدل على صلاحه اختلاف المفسرين في نبوَّتِه[3].

ثالثاً: أنه كان ملهَماً من الله، وهذا ما عليه جمهور المفسرين، دلَّ على ذلك النصوص القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ (الكهف: ٨٤)،

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت: ١٣٩٣هـ)، «**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**»، الدار التونسية للنشر، تونس، ج١٦ ص١٨. سنة النشر: ١٩٨٤م.

(٢) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، ت: ١٣٩٤هـ، «**زهرة التفسير**»، دار الفكر العربي، ج٩ ص٤٥٧٨.

(٣) للاستزادة ينظر: الطبري، محمد بن جرير، «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**»، (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠هـ، ج١٨ ص٩١. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، (ت: ٦٧١هـ)، «**الجامع لأحكام القرآن**»، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ج١١ ص٤٧.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾(الكهف: ٨٦).

رابعاً: أن الله تعالى رزقه أعلى أسباب المُلك، قال ابن كثير: «أعطيناه ملكًا عظيمًا متمكنًا فيه، له من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود، وآلات الحرب والحِصَارات؛ ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض، ودانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد، وخدمته الأمم»[1].

خامساً: أن مُلكه شمل أقطاراً شاسعة، فبلغ أقصى المغرب، وأقصى المشرق، وكذلك بلغ بلاد يأجوج ومأجوج، وأنها كانت في جهة مما شمله ملكه غير الجهتين الشرقية والغربية.

سادساً: أنه أقام ردماً عظيما بمواصفات مبيَّنة؛ ليحول بين يأجوج ومأجوج وبين قوم آخرين.

سابعاً: أن يأجوج ومأجوج هؤلاء كانوا عائثين في الأرض فساداً، وأنهم كانوا يفسدون بلاد قوم موالين لهذا الملك.

ثامناً: أنه كان معه قوم أهل صناعة متقنة في الحديد والبناء.

تاسعاً: أن خبره خفيٌّ دقيق لا يعلمه إلاّ الأحبار علماً إجمالياً ، كما دَلَّ عليه سبب النزول[2].

المطلب الثاني: حِكَم ورود قصة ذي القرنين إجمالاً

قصة ذي القرنين من القصص القرآني التي تخلو من التفصيلات بشكل عام؛ ولذلك نجدها اقتصرت على ذِكْرِ مواطن عِبَرٍ معينة.

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، «**تفسير القرآن العظيم**»، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط: ١، ١٤١٩هـ، ج٥ ص١٧١.

(٢) ذكر ابن عاشور معظم هذه النقاط سرداً، ينظر: ابن عاشور، «**التحرير والتنوير**»، ابن عاشور ج١٦ ص٢٠.

وإجمال القرآن الكريم للقصة يتناسب مع الإجابة عن سؤال المشركين وإسكاتهم وإفحامهم من جهة، ومع التماس العِبْرة والفائدة للمؤمنين من جِهَةٍ أخرى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ (الكهف: ٨٣).

ولعل من الجَيِّد الجديد استخراج بعض الحِكَم من ورود الإجمال المثير للتساؤلات في قصة ذي القرنين من حيث الشخصيات، والزمان، والمكان، والأحداث.

ومما تَجْدُر الإشارة إليه قبل بدء الحديث عن تلك الحِكَم هو أن هذه الحِكَم ثمرة اجتهاد ذاتي في غالبها، ويمكن إجمال أبرز حِكَم ورود قصة ذي القرنين مجملةفيما يأتي:

أولاً: إظهار العجز البشري في المحافظة على معرفة التسلسل الزمني والمعرفي للأحداث والأشخاص وتأريخها، فشخصية ذي القرنين تُعَدُّ من الشخصيات البارزة تاريخياً، والأصل أن تتوارثها الأجيال ذِكْراً مع المحافظة على أدَقِّ تفصيلاتها، ومع ذلك اندثر ذِكْرها، واختُلِف في تحديد شخصياتها، وزمانها وأماكنها اختلافاً مُشَتِّتاً، لدرجة أن أهل الكتاب اختبروا نبوة النبي ﷺ من خلال ما تبقى لديهم من معارف سطحية مختلطة عنه.

وتُظْهِرُ إجابة القرآن الكريم عن سؤالهم حِكْمَة مدى حاجة البشر إلى الوحي، وتعَلُّقِهم به لِحفظ معارف التسلسل التاريخي للأحداث من جِهَةٍ، والمحافظة على صحة مضمونها وما جاء فيها من جِهَةٍ أخرى.

ثانياً: يُعَدُّ التزام النبي ﷺ بقصة ذي القرنين كما وردت في القرآن الكريم واحداً من دلائل نبوته، وأنه لا ينطق عن الهوى، فهو ﷺ لم يَزِد عليها شيئاً، ولم يُفَصِّل في الأحداث إلا بما أوحِيَ إليه.

فلم يصِحَّ عن النبي ﷺ إلا أحاديث محددة، لا تجيب عن فضول التساؤلات التفصيلية للأحداث في قصَّة ذي القرنين.

ثالثاً: «التنبيه على أن أَحْوالَهُ وأَخْبارَهُ كثيرة، وأنه إنما يَهُمُّهُمْ بعض أحواله المفيدة

ذِكْراً وعِظَة؛ ولذلك لم يقل في قصَّة أهل الكهف: نحن نقص عليك من نبئهم... ؛ لأن قِصَّتَهُم مُنْحَصِرة فيما ذُكِر، وأحوال ذي القرنين غير منحصرة فيما ذُكِرَ هنا»[1].

رابعاً: الإبقاء على هيبة أحداث لم تأتِ بَعْدُ، فيأجوج ومأجوج لم يرد في وصفِهم أثر تفصيلي صحيح يوَضِّحُ طبيعتهم وعددهم. وظُهُورُهُمْ في آخر الزمان واحدٌ من أشراط الساعة الكبرى[2] التي يُحافَظُ على هيبتها ومباغتتها من خلال الإبقاء على إبهامها، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾(الأنبياء:٩٦)، وكما قيل: كلما كان الأمر مبهماً كلما كان أكثر هيبةً. وتمثيل ذلك أنه لو توعَّد حاكم شخصاً مُذْنِباً بالعقوبة، وأظهَرَ له نوع العقوبة بأنها: السَّجن عشر سنين، فإن ذِهْن المُعاقَبِ سينحصر في العقوبة المحددة؛ لكن لو قال له الحاكم: لنُرِيَنَّك ما يسوءك في الغد القريب؟! فإنه سيكون أكثر حيرة وخوفاً وتوقُّعاً، وإن دائرة حساباته ستكون أكثر اتساعاً. هل سيأمر بقتله؟! أم أنه سيُعَذِّبه أولاً أم هو النفي، أم.. أم..

وأكثر المباهتة رهبة وهيبة: تلك التي يُتَوَعَّدُ بها مع إبهام نوعها ووقتها وطبيعتها، فهذا التحيير والإبهام في العقوبة؛ عقوبةٌ لا تَقِلُّ قسوة عن العقوبة نفسها!

---

(١) ابن عاشور، «**التحرير والتنوير**»، ج١٦ ص٢٣.

(٢) وقد ورد في الصحيحين عن النبي ﷺ أحاديث تؤكِّد خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان، وأنه يتزامن مع نزول عيسى – عليه السلام –، للاستزادة يُنْظَر: «**صحيح البخاري**»، باب: قول الله تعالى: «جعل الله الكعبة..»، رقم: ١٥١٦. «**صحيح مسلم**»، كتاب:، باب: ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم: ٧٥٦٠.
قال د. مصطفى ديب البغا في تحقيقه لصحيح البخاري: يأجوج ومأجوج: «شعوب بشرية كثير عددها، غريبة أخلاقها، واسع شرها، يكون ظهورها من علامات الساعة الكبرى».

المبحث الثاني

المقومات التشريعية لقيام الدولة القوية كما تعرضها قصة ذي القرنين

تمهيد:

تُعَدُّ المقومات التي ستقوم عليها الدراسة نموذجاً جُزْئياً يُسَلَّطُ الضوء من خلاله على النظرة الكلية المتكاملة التي رَسَمها القرآن الكريم لإقامة دولة قوية تُهابُ ولا تَهابُ، ويُحْسَبُ لِغَضْبَتها ألف حِساب، وقد تكَفَّل الله تعالى لِمَن التزم منهجه أن يبقى منتصِراً متبوعاً لا تابعاً، غالباً لا مغلوباً.

وسيكون ترتيب ذِكْر هذه المقومات متمشِّياً مع سرد الآيات في القصة، ولا علاقة له بالترتيب التدرجي لقيام دولة قوية.

المطلب الأول: مُقَوِّم التمكين في الحُكم

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(الكهف: ٨٤).

أولاً: معنى التَّمْكين:

١. معنى التمكين في اللغة:

التمكين: «مصدر الفعل: (مَكَّن)... بمعنى استمكَنَ، وتمكّن فلان من الشيء، وفلان لا (يُمْكِنه) النهوض أي لا يقدر عليه[١]». والجمع: (مكانات)، لا يجمع جمع تكسير، وقد مَكُن مَكانةً فهو مَكين، والجمع مُكنَاء»[٢]. فالتمكين فيه معنى السلطان والملك والرِّفْعة والقوة، وهذا ما دل عليه عموم الآيات التي ورد فيها الحديث عن التمكين.

قال ابن عاشور: «التمكين: جعل الشيء متمكناً، أي: راسخاً، وهو تمثيل لقوة

---

(١) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ت: (٦٦٦هـ)، «**مختار الصحاح**»، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية– الدار النموذجية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ. ج١ ص٢٩٧، بتصرف.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، ت: ٧١١هـ، «**لسان العرب**»، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ج١٣ ص٤١٣. بتصرف.

التصرف بحيث لا يزعزع قوته أحد...، فمعنى التمكين في الأرض إعطاء المقدرة على التصرف»[1].

٢. معنى التمكين اصطلاحاً:

عُرِّف التمكين اصطلاحاً بعدة تعريفات، وستقتصر الدراسة على واحدٍ منها[2] هو أخصرها وأجمعها، فقد عرفه فتحي يكن بقوله: «بلوغ حال من النَّصْر، وامتلاك قدر من القوة، وحيازة شيء من السلطة والسلطان، وتأييد الجماهير والأنصار والأتباع، وهو لون من ألوان الترسيخ في الأرض، وعلو الشأن»[3].

وبناءً عليه، فالمعنى الشرعي للتمكين: هو سيطرة الدِّين على حركة الحياة، فلا يصدر من أمور الحياة أمر إلا في ضوء الإسلام وعلى هَدْيه، وبالصورة التي جاء بها بعيداً عن النظرة المُشَوِّهة له، ولا شك أن ذلك سيَعْكِس ظلاله على الأشخاص.

ثانياً: إضاءات من حديث القرآن عن التمكين في قصة ذي القرنين:

أفاض القرآن الكريم في حديثه عن التمكين، مبيناً ماهيته وأسس بنائه، ومقوماته، وأهدافه، وطرق المحافظة عليه...، وهذه الإفاضة دفعَت العلماء والباحثين إلى إفراد مؤلفات وبحوث حول حديث القرآن الكريم عن التمكين يمكن الرجوع إليها، والاستفادة منها[4].

والذي يعنينا في هذا المقام أن التمكين في الحُكْم يُعَدُّ أبرز مقومات الدولة القوية التي أظهرتها قصة ذي القرنين، ويمكن إجمال أهم الأمور المستفادة من حديث القرآن الكريم عن التمكين في قصة ذي القرنين فيما يأتي:

---

(١) ابن عاشور، «**التحرير والتنوير**»، ج١٦ ص٢٤.

(٢) للاستزادة حول تعريفات التمكين اصطلاحاً يُنْظَر: الصَّلَّابي، عَلي محمد محمد، «**تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم -أنواعه - شروطه وأسبابه - مراحله وأهدافه-**»، مكتبة الصحابة، الشارقة - الإمارات، مكتبة التابعين، مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٣) «**مجلة المجتمع**»، الكويت، العدد: ١٢٤٩، بتاريخ: ٦محرم، ١٤١٨هـ، ١٣/ ٥/ ١٩٩٧م.

(٤) من ذلك: كتاب: «**فقه النصر والتمكين في القرآن**»، علي الصلابي.

١. التمكين مِنْحَة ربانية قبل كل شيء: فالمتتبع لحديث القرآن الكريم عن التمكين يرى أن جميع النصوص التي ذَكَرَت التمكين ذَكَرَته باعتباره مِنْحَة ربانية، وعطاءً إلهياً، فهو سبحانه وتعالى يَهبه لمن شاء، ويمنعه عمن يشاء، بِحِكْمَته وعدله وفضله[١].

فالله تعالى هو الذي مَكَّنَ لذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ولعل من أسباب التمكين تَحَقُّقاً واستمراراً أن يُرْجِعَ العبد فضل نِعْمَة التمكين إلى الله تعالى، وإرجاع فضل التمكين إلى الله تعالى من العبد يُعَدُّ جزءاً من شكره لربه، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ (الكهف: ٩٥).

٢. التَّمكين مُقَوِّمٌ ونتيجة: فإذا كان التمكين ذروة سنام، ومنتهى المُبتغى، وثمرة الجُهد والتضحية؛ إلا أن القرآن الكريم جعله يتصدَّر قائمةً حديثه عن مقومات قيام الدولة القوية في قصة ذي القرنين، ولعل السبب من وراء ذلك أن التمكين مُقَوِّم ونتيجة في الوقت نفسه، فهو جزء من مقومات الدولة القوية التي لا تقوم إلا به، ونتيجة لقيامها واستقرارها واستمرارها.

قال أبو زهرة: «وهذا هو الأمر الأول - يعني التَّمْكين -، وهو أساس لما قبله ولما بعده، فالدِّين يُمَكِّنُ فيما بينهم، فلا يكون ثمة ما يسوغ ضعف اليقين، بل تبقى الحجة للقرآن وحده، ويدركه الناس في دعة واستقرار، ولا يوجد إيذاء ولا استخذاء ولا استهزاء، ولا تهكم على المؤمنين، ولا يستطيعون»[٢].

ثالثاً: مظاهر التمكين لذي القرنين:

١. إقامته الردم على مَرأى من يأجوج ومأجوج، ودون أن يُسَجِّل القرآن الكريم أي مقاومة أو اعتراض منهم على عزله لهم ومحاصرتهم، أو محاولاتهم إفشال مشروعه، وليس أعظم من ذلك التمكين تمكين، ولا أظهَر من هذه الهيبة هيبة... أن يرى الباطل نفسه وهو يحاصَرُ ويُحَجَّم وينكمش على نفسه بعد أن كان يصول ويجول ويبْطِش

(١) ورد: «التمكين» في القرآن الكريم خمس عشرة مرة كلها دَلَّت على أن التمكين مِنْحَة من الله تعالى.
(٢) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، «**زهرة التفاسير**»، (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي. ج١٠ ص٥٢٢١.

بالحق دون استطاعته أن يَدْفَعَ عن نفسه شيئاً، قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ (الكهف: ٩٩).

٢. متابعته لأسباب التمكين، فذهب إلى أقصى المغرب، وأقام هناكَ حُكْماً متيناً، ثم فعل ذلك في كل الأرض التي جابها.

٣. استخدام القرآن الكريم عبارة: ﴿مَكَّنَّا﴾، فهذه المبالغة في العبارة تعطي معنى الثِّقَل والمبالغة في التمكين.

٤. مجيء صيغة العموم: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ في قوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾، فذو القرنين مُكِّن له في الأرض التي بلغَها حُكْمُه فقط، وليس في الأرض كلها، إلا أن القرآن الكريم جاء بصيغة العموم: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾؛ للدلالة على رسوخ قَدَمِه في المُلْك والتمكين، واستخدام القرآن الكريم لصيغة العموم: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ له شواهد قرآنية تدلُّ على المعنى نفسه، فقد قال تعالى عن يوسف – عليه السلام –: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ (يوسف: ٥٦)، عِلْماً أن الله تعالى مَكَّن له في أرض مصر فقط.

ولا شك أن التمكين لا يتحقق في الأمة إلا بعد أن تتحقق مقومات قيامه.

المطلب الثاني: مُقَوِّم نُصْرة المظلوم والاستجابة إلى ندائه

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الكهف: ٩٤).

﴿أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (الكهف: ٩٥).

ومنهج القرآن الكريم في نصرة المظلوم يأتي بعيداً عن جِنسيته وجِنْسِه، ومستواه المعيشي والثقافي والفكري والإدراكي، بعيداً عن لون بشرته، أو طبيعة شكله...، نُصْرَته بعيداً عن العلاقات الشخصية، أو المصالح المادية، وما يسمى بالتغذية الراجعة.

نصرة المظلوم: أن يُنْصَرَ هو لا أن يُنْصَرَ عليه! نصرته بالمحافظة على كرامته في أعلى مستوياتها، نُصْرَة إعزاز لا تخدير، نُصْرَةٌ تُجَيَّش لها الجيوش، وتُعَدُّ لها العُدة،

نُصْرة لا تقبَل التباطؤ فضلاً عن التراخي أو التقَهقر، فضلاً عن أن يُفْزَع للظالم على المظلوم.

ومما يدل على صدق نية ذي القرنين في نصرة المظلومين، رفضه للمال الذي عرضوه عليه مقابل حمايته لهم،﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾(الكهف: ٩٥)، «ولكن ذا القرنين العادل وجد أن من قوانين الحكم العادل أن يقوم بالإصلاح ودفع الفساد من غير أجرٍ يُدْفَع، بل إن عمل الخير ضريبة الحُكْمِ الصالح»[1].

المطلب الثالث: مُقَوِّم الاستماع إلى رأي الغير واعتماد مبدأ الشورى قبل اتخاذ القرار

﴿أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾(الكهف: ٩٤)،﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾(الكهف:٩٥).

الشورى مُقَوِّم لا يقبل التجميد أو التعطيل في مسيرة بناء الأمة، وقد نبهنا القرآن الكريم من خلال قصة ذي القرنين إلى أمور تتعلق بالمشورة ليس من السَّهل التَّنَبُّهُ إليها، منها:

أولاً: إشراك صاحب الشأن فيما يخصُّه، وأخذ رأيه، وإيصال القناعات له دون فرض الرأي عليه. فذو القرنين المُسْتَنْجَد به لم يُحَيِّدهم، بل استمع لرأيهم.

ثانياً: احترام رأي الآخر مهما كان تفكيره ضعيفاً أو سطحياً، فذو القرنين عَلِم ابتداءً أنه يتعامل مع قوم:﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾(الكهف: ٩٣)، ولم يمنعه ذلك من الإصغاء إليهم، والتَّعَرُّف إلى رأيهم: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾.

ثالثاً: قوة العقل وسداد الرأي بناء يحتاج إلى تعزيز، فاستماع ذي القرنين لقوم بسطاء سُذَّج محدودي التفكير، يُعْطيهم دفعة قوية في تطوير مهاراتهم العقلية، وبنائهم الفكري والشخصي.

إذن فقد أقام ذو القرنين القوَّتين: الجسدية والعقلية، وهما الأساس الذي تُبنى عليه

---

(١) أبو زهرة، «**زهرة التفاسير**»، ج٩ ص٤٥٨٨.

القوة المبنية على الأخذ بالأسباب.

ومهما كانت ثقة العقلاء قوية بأنفسهم، ومهما كان بُسَطاء التفكير سُذَّجاً في تفكيرهم، إلا أن العقول تتلاقح، وقد يَفتح الله تعالى على البسيط الساذج رأياً سديداً راشداً، ويُغَيِّبه عن المُتَعَقِّلين، أو تكون أفكار البسطاء مفتاحاً لأفكار رشيدة، وآراء سديدة.

إذن فالمشورة خير كُلُّها، خير للبسيط الساذج أن يُنَمي تفكيره، وينهض بعقله، وينظر كيف تُدار الأمور، وتُحَلُّ القضايا، وهي خيرٌ للمُتَعَقِّلين الفطناء، فبها يؤَدُّون واجبهم تجاه أمَّتهم، ويدركون فضل الله عليهم بما ميَّزَهُم به على غيرهم، ويستلهمون شوارد أفكارهم، وما فاتهم.

المطلب الرابع: مُقَوِّم عزل الباطل وتحجيمه ومحاصرته حتى لا يتمادى على أهل الحق

﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾(الكهف: ٩٧)

وهذا المُقَوِّم وإن كان في ظاهره نتيجة للقوة والتمكين، إلا أنه يلازم القوة وجوداً وتحققاً، ويحافِظ عليها استمراراً واستقراراً، فالباطل يبقى متربصاً ينتظر فرصة يتحرك من خلالها، وغفلة يستغلُّها، فيعاود بناء نفسه، ويقوي شوكته إلى أن تَصْعُب السيطرة عليه، وهذا ما أدركه ذو القرنين، فأقام ردماً عظيماً جعل يأجوج ومأجوج مَعْزولين عن العالم تماماً؛ فباتوا مَرْعوبين بعد أن كانوا مُرْعِبين، ومُحاصَرين بعد أن كانوا مُحاصِرين.

وفي زمن العلم والعولمة الذي نَعيش فيه؛ فإن مظاهر عزل الباطل لا يكفي أن تحدُّها الحدود الجغرافية أو الحواجز الطبيعية والاصطناعية...، فالباطل يتحرك من خلال وسائل الاتصالات، ومواقع التواصل الاجتماعي، والإعلام، فيغزوا العقول ويسيطر عليها، ويحرِّك الغرائز ويتلاعب بها، ويفسد العلاقات ويتحكم بها. يُحَرِّك الشعوب فيثوِّرُها أو يُسْكِتها، وأعظم ما يحمي الدولة، ويحافظ على هيبتها؛ عزل الباطل

عن أفرادها، وعزل أفرادها عنه، فهناك إجراءات ينبغي أن تُتَّخَذَ في حقِّ الباطل بقوة وصرامة، وأخرى ينبغي أن تُتَخَذ في حق أفرادها بمنعٍ وتوجيه يجمعان بين الترغيب والترهيب.

أما أن يصول الباطل ويجول، ويُطْلَقَ له العنان، بل يمسي الباطل هو الذي يتحَكَّم، وهو الذي يُضَيِّق الخناق على أهل الحق، فهذا انتكاس للمعايير، وتأخُّر في النهوض بين الأمم، فالأمة التي تسعى للتعافي من أمراضها مشوارها أبعد بكثير من التي تُمْسِك زمام الأمور.

وإننا في زماننا نحتاج إلى عزلنا للباطل، وكذلك نحتاج إلى عزلنا عن الباطل.

المطلب الخامس: مُقَوِّم محاصرة الباطل وشغله في نفسه

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾(الكهف: ٩٩).

ويأتي ختام كمال قوة الدولة بتوجيه المسلمين إلى ضرورة محاصرة الباطل وإشغاله ببعضه؛ لإبقائه ضعيفاً متآكِلاً، ينهش بَعْضُه بعضاً؛ فيزداد ضَعْفاً إلى ضعفه، وانحساراً إلى انحساره.

قال القرطبي: «واستعارة:»المَوْجِ» لهم، عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض، كالمولهين من هَمٍّ وخَوْفٍ، فشبههم بموج البحر الذي يضطرب بعضه في بعض»[1].

وقد أشار إلى المعنى نفسه ابن عاشور فقال: «جعلنا يأجوج ومأجوج يومئذ مضطربين بينهم فصار فسادهم قاصراً عليهم ودفع عن غيرهم. والنار تأكل نفسها، إن لم تجد ما تأكله؛ لأنهم إذا لم يجدوا ما اعتادوه من غزو الأمم المجاورة لهم رجع قويهم على ضعيفهم بالاعتداء»[2].

وهكذا يكون الشأن مع كل جماعة شريرة لا يُرْجى صلاحها، إما أن تُسْتأصَل أو

(١) القرطبي، «**الجامع لأحكام القرآن**»، ج١١ ص٥٥.
(٢) ابن عاشور، «**التحرير والتنوير**»، ج١٥ ص١٣٨.

تُعْزَل، وإلا أَضْعَفَت الجماعة المسلمة وأفسدتها، وبذلك تزيد قوتها، وتعلو شوكتها، وقد نبَّه القرآن العظيم إلى هذا المعنى في قوله عن قوم نوح – عليه السلام –: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح: ٢٧).

قال أبو زهرة: «فانحصر شرهم، ولم يتعد فسادهم إلى غيرهم، فالجماعة الشريرة إذا لم يمكن إصلاحها يكون علاج الناس بالوقاية منها وإبعادهم عنها»[١].

المبحث الثالث

المقومات التشخصية لقيام الدولة القوية كما تعرضها قصة ذي القرنين

المطلب الأول

مُقَوِّم الحَزم في اتخاذ القرارات

والأخذ على يد الظالم، ومكافأة المُحْسِن

﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (الكهف: ٨٦).

والحزم في اتخاذ القرارات وجعلها حَيِّز التنفيذ، ومعاقبة الظالم، ومكافأة المُحْسِن من مقومات الدولة القوية، والتزام إقامتها من أهم ركائز المحافظة على هيبتها، فمبدأ المُكافأة والعقوبة لا يقبَل الإبطاء أو التمييع[٢]، ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (الكهف: ٨٧– ٨٨).

وقبل أن تُنَفَّذَ القرارات، وتُنَزَّل العقوبات، وقبل أن تُمْنَح المكافآت، ينبغي أن يُنْظَر في تلك القرارات، بماذا تخدم؟ ومن تخْدِم؟ وما هي مجالات تطبيقها؟ فهي قرارات تجعل

---

(١) أبو زهرة، «**زهرة التفاسير**»، ج٩ ص٤٥٩٢.

(٢) قلت: يُنْظَر كيف أشار القرآن الكريم إلى رحلته من جِهَة الشرق دون بيان أو تطويل لما حصل معه؛ ليترك للعقل استرجاع قوانينه ومبادئه التي سَبق وذُكِرَت في رحلته إلى الغرب، فهو على مبدئه الصارم الحازم في حق من خالف وظلم، ومُكْرِم بلساني الحال والمقال لمن آمن واحترم القوانين؛ لذلك جاء بعدها: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾، فقد عَلِم الله تعالى بكل ما لديه من أفكار واتجاهات.

مُتَلَقِّيها يُسابِق إلى التزامها بالرغبة؛ لأنه يعلم أنها تخدِمه وترفعه، فيبادر إليها رغبة لا رهبة، وإخلاصاً لا تَخَلُّصاً، بعيداً عن التفكير في العقوبة أو المكافأة.

وحتى يرتفع الخير ويعلو، وحتى ينحَسِر الشر ويخبو؛ لا بد من اعتماد مبدأ المُكافأة والعقوبة، المُكافأة ليعلم المُحْسِنُ أن سعيه مشكور، فيزيد عطاؤه وترتفع هِمَّته، ويُسارَعُ إلى الاقتداء به، فَتُصيب عدواه المُبْطِئ والمُخْطئ، وأما العقوبة فليَعْلَم المسيء أنه منبوذ وشاذ، فلا يجِدُ رواجاً يتَبَجَّح به في نفسه، أو يؤثِّر به على غيره.

قال محمد طنطاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ۝ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[1]: «فأنت ترى أن ذا القرنين قد رَدَّ بما يدل على أنه قد اتبع في حكمه الطريق القويم، والأسلوب الحكيم، الذي يدل على قوة الإيمان، وصدق اليقين، وطهارة النفس، إنه بالنسبة للظالمين، يعذب، ويقتص، ويرهب النفوس المنحرفة، حتى تعود إلى رشدها، وتقف عند حدودها. وبالنسبة للمؤمنين الصالحين، يقابل إحسانهم بإحسان، وصلاحهم بصلاح، واستقامتهم بالتكريم والقول الطيب والجزاء الحسن.

وهكذا الحاكم الصالح في كل زمان ومكان: الظالمون والمعتدون: يجدون منه كل شدة تردعهم وتزجرهم وتوقفهم عند حدودهم، والمؤمنون والمصلحون يجدون منه كل

---

(١) فائدة: قال ابن عطية الأندلسي: «توعد الكافرين بتعذيبه إياهم قبل عذاب الله، وعقب لهم بذكر عذاب الله؛ لأن تعذيب ذي القرنين هو المحسوس لهم، والأقرب نكاية، وفي وعد المؤمنين قدَّم تنعيم الله تعالى الذي هو اللاحق عند المؤمنين، والآخر بإزائه حقير». ينظر: الأندلسي، عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام بن عطية، (ت: ٥٤٢ هـ)، «**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**»، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ، ج٣ ص ٥٤٠.
قلت: والفعل: ﴿وَسَنَقُولُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ دالٌّ على الجمع وليس العَظَمَة، ولو كان كذلك لجاء قبله: «قلنا أما من ظلم»، وفائدة ذلك أن مجيء: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ بصيغة الجمع يدل على الترغيب في الإيمان، وأن من آمن سيجد الإحسان من الجميع، ويدل أيضاً على أن الراعي والرعية على نهج واحد، فكلُّهُم يُقَدِّم ما عند الله تعالى على العاجلة. وفيه أيضاً أن من صلاح الراعي ربط المدعوين والرعية بما عند الله تعالى، وترغيبهم فيه أولاً.

تكريم وإحسان واحترام وقول طيب»[1].

وقال الشعراوي: «وأول ما يجب أن يهتم به كل مُمكَّن في الأرض، بعد توليد الطاقة من الأسباب، هو معاقبة الظالم لتستقيم الأمور بالضرب على يده، وفي هذا إصلاح لحركة الحياة في الدنيا، أما في الآخرة فللظالم عذاب آخر، ذلك أن الذين يعيثون فساداً في الأرض لا يمكن أن نتركهم لعذاب الآخرة؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة، ولو تركناهم ولم نضرب على أيديهم؛ لملأوا الأرض فساداً. والفساد في المجتمع لا يصيب المفسد فقط، ولكن يكتوي به المجتمع كله..

وأما من آمن وأصلح في المجتمع وصلح المجتمع بإيمانه، فلا بد أن نجازيه خيراً ونشجعه. هذا هو قانون صلاح الكون، وتلك هي معاييره»[2].

أما أن يكافأ الأشرار ويحاصر الأخيار فهذا فساد فيه إفساد، «فحين يضطَرِب ميزان الحُكْم، فإذا المعتدون المفسدون مُقَرَّبون إلى الحاكم مُقَدَّمون في الدولة، وإذا العاملون الصالحون منبوذون أو محاربون، فعندئذٍ تتحول السلطة في يد الحاكم سوط عذاب وأداة إفساد، ويصير نظام الجماعة إلى الفوضى والفساد»[3].

قال الشعراوي: «وحين يعلم الناس أنه لا يجازي بالخير ولا يكّرم بالقول إلا من فعل فعلاً حقيقياً فالكل يفعل فعلاً حقيقياً، لكن عندما تجد الناس أن المكافآت لا يأخذها أحد إلا بالتزلف وبالنفاق وبالأشياء غير المشروعة فسيفعلون ذلك، وهكذا تأتي الخيبة»[4].

والدولة التي أقامها ذو القرنين ليست دولة عادلة فحسب؛ لكنها أيضاً دولة مُحْسِنة، فدولة العدل تعمل على سَنِّ القوانين وإنفاذ العقوبات، وهذا من شأنه أن يضمن

---

(١) طنطاوي، محمد سيد، «**التفسير الوسيط للقرآن الكريم**»، دار المعارف، القاهرة، ج٨ ص٥٧٢.

(٢) الشعراوي، «**تفسير الشعراوي**»، ج٩ ص٧١- ٧٢. بتصرف يسير.

(٣) قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، (ت: ١٣٨٥)، «**في ظلال القرآن**»، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط: ١٧، ١٤١٢هـ، ج٤ ص٢٢٩١.

(٤) الشعراوي، «**تفسير الشعراوي**»، ج٣ ص١٩٤٠.

الحقوق، ويحمي سيادة الدولة: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾، أما دولة الإحسان فقد تجاوزت المدنية المعاصرة في تركيزها القاصر على محاسبة المخالفين ومُعاقَبَتهم إلى مُكافأة الملتزمين ومعاملتهم بالإحسان؛ لأن الإحسان هو الذي يحمي بنية الدولة الداخلية، ويؤسِّس للمواطنة الحَقَّة، فيدفع مواطنيها لأداء الواجبات، والمسارعة إلى فعل الخيرات، وهو الذي يرعى المواهب والطاقات، ويُجَذِّر السلوك الإيجابي، وقِيَم المسؤولية المجتمعية، ويجيب عن سؤال النهضة في سعي الأمة الدَّؤوب نحو القمة والصدارة.

المطلب الثاني: مُقَوِّم العلم والمعرفة بجميع أشكالها

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ (الكهف: ٨٤)

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (الكهف: ٩٣).

فالعلم بجميع أشكاله قوة وحصانة، وبقدر وجوده ونموه تبقى الدولة قوية مستمرة، وليس داء أدعى لاهتراء الدُّوَلِ وتآكلها وموتها من الجهل..

﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، قال الألوسي: «لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا من أقوال أتباع ذي القرنين، أو من أقوال من عداهم لغرابة لغتهم وبعدها عن لغات غيرهم وعدم مناسبتها لها مع قلة فطنتهم، إذ لو تقاربت فهموها، ولو كثرت فطنتهم فهموا ما يراد من القول بالقرائن فتعلموه»[1].

وأول ما بدأ به القرآن الكريم في بناء أنظمته ودولته هو العلم والقراءة والكتابة، فكان

---

(١) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت: ١٢٧٠هـ)، «**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**»، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ، ج٨ ص٣٩٥.
قلت: وبعد الرجوع إلى عموم أقوال المفسرين تبينَّ أن فهمهم للآية لا يكاد يخرج عن كون هؤلاء القوم يملكون لغة لا يشاركهم فيها سواهم، أو أنهم بلهاء ليس عندهم مقومات الفهم والعلم والفطنة. للاستزادة ينظر: أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، (ت: ٩٨٢هـ)، «**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم**»، تحقيق: خالد عبدالغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ج٥ ص٣٣٠.

أول ما نزل منه قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ (العلق: ١– ٥)، ومن أوائل ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾(القلم: ١)، وكأن العِلْم هو الأساس الذي تُبنى عليه الدَّولة القوية، وبقدر قوته تكون قوتها..

ولا يقتصر العلم لإقامة دولة قوية على العلوم الشرعية فقط، بل لا بد من توجيه الطاقات، وبذل الأموال في تنمية كل ما يخدم الدولة، وتوجيهه الوجهة الصحيحة؛ ليكون البناء متكاملاً، والإعداد تاماً، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ (الكهف: ٨٤).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن يكون العلم مُمَنْهَجاً مُنَظَّمَاً، يقوم على دراسة أسباب العزة، فيُملأ الفراغ الذي يحتاج إلى مَلْءٍ، وتوجَّه الطاقات والأموال الوجهة الصحيحة، وتُدْرَس المشاريع العلمية والعملية دراسة تجمع بين الحاجة والدِّقة دون بُطءٍ أو توقُّف، وتتبنى الدولة مسؤولية حُسْن توزيع المهام، وتوجيه المشاريع للمحافظة على المقدرات المالية والطبيعية، والطاقات البشرية والعلمية دون هَدْر يجعلها تراوح مكانها أو تتقهقر وراءها، وأن يتناسب حجم المُخْرجات مع حجم المدخلات، لا أن تُنْفَق الأموال، وتُهْدَر الأوقات والطاقات دون تحقيق مخرجات لائقة، فلا يكون ما نحقِّقه هو الشكليات والتنظير.

فالعلم هو غاية الغايات، وسبب القوة وسياجها المنيع، به تنمي الدولة نفسها، وتواكب عصرها، وتتقدم على غيرها، وهو أغلى من الروح، لذلك نجد النبي ﷺ قام بصفقة رَبِح فيها، وذلك حينما جعل فكاك أسرى الكفار من الموت بتعليم كل واحد منهم عشرةً من أبناء المسلمين القراءة والكتابة،ويا لها من صفقة رابحة للمسلمين.

وإن أول الأسباب الكسبية لتحقق التمكين هو العلم؛ لذلك كان هو أول ما بُدِئَ به الوحي، وبعده مباشرة يأتي الجُهْد، وهو ما تَبِعَ نزوله العلمَ على النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ (المدثر: ٢). فطريق التمكين للأمة يبدأ بالعلم والجُهد.

المبحث الرابع

المقومات السببية لقيام الدولة القوية كما تعرضها قصة ذي القرنين

المطلب الأول: مُقَوِّم منْح الأسباب

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾(الكهف: ٨٤).

إن الله تعالى هو مانح الأسباب وواهبها، والقرآن الكريم طافح بالأدلة على ذلك، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾(الحديد: ٢٩). وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾(آل عمران: ٢٦). وخزائن الله تعالى في منح الأسباب لا تنتهي، وعطاياه يَعْجَز عن وصفها الواصفون، وعن عَدِّها العادُّون.

ومنح الأسباب للعباد أساسه الجانب الوهبي، وهو الأساس الذي يبني عليه الموهوب له الجانب الكسبي في تعهُّده للأسباب الوهبية، وسنة الله تعالى في إهلاك من رَكَن إلى نفسه وتنكَّر لفضل الله تعالى عليه وأنكره معلومة، وقد تحدَّث القرآن الكريم في مواطن كثيرة عن سوء مآل من غرَّه ماله وسلطانه، من ذلك حديثه عن قارون، حيث أنكر فضل الله تعالى عليه، وعزا نعمة الله تعالى عليه لنفسه، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾(القصص: ٧٨)، فكانت النتيجة: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾(القصص: ٨١).

وصاحب الجنتين، نصحه صاحبه أن يرجع الفضل إلى الله فيما آتاه من خيرات وعطايا، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ (الكهف: ٣٩)؛ لكنه أعرض وتكبرَّ، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ (الكهف: ٣٥). فكانت النتيجة: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾(الكهف: ٤٢ – ٤٣).

فالأمة – مجتمعة وأفراداً – لا تزال بخير ما دامت متعلقةً بمسبب الأسباب وواهبها،

وإذا أُوكِلَ العبد إلى نفسه هَلَك، ودَمَّرَه عقله وسعيه. وقد كان من دعائهﷺ: «اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت[1]».

ومن منهج القرآن الكريم أن يُفَصِّل أحياناً في بيان الأسباب الموهوبة للعبد كماً ونوعاً، كما أخبر عن سليمان – عليه السلام –، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾(ص: ٣٦– ٣٧)، ويَسْكُت عنها أحياناً أخرى – وهو أحْكَم الحاكمين – كما في قصة ذي القرنين.

قال السعدي: «وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا، لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، بها صار له جند عظيم، ذو عَدَدٍ وعُدَدٍ ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها، وأنحائها»[2].

ولعل أن من حِكْمة تنَقُّل القرآن الكريم بين إظهار أسباب التمكين أحياناً وإخفائها أحياناً أخرى، أن القرآن يبهِرنا بأسباب عطاياه وتمكينه التي يُظْهِرها، ويُطْلِق للعقل العنان في استخراج أسباب التمكين التي أخفاها، فينقلب العقل مندهِشاً أمام عظيم ما عند الله تعالى من أسباب وهبية للتمكين.

---

(١) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، (ت: ٢٧٥هـ)، «**سنن أبي داود**»، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم: ٥٠٩٠، ج٤ ص٣٢٤. حديث حسن. ينظر: الألباني: محمد بن ناصر الدين، «**صحيح الجامع الصغير وزيادته**»، المكتب الإسلامي، حديث رقم: ٣٣٨٨، ج١ ص٦٣٨.

(٢) السعدي، «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**»، ج٥ ص٧٣.

المطلب الثاني: مُقَوِّم اتِّباع الأسباب ومتابعتها

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾(الكهف: ٨٥- ٨٦).

وقد تابع النصُّ القرآني تَتَبُّعَ ذي القرنين لأسباب التمكين وأثبتها له في كل رحلة من رحلاته الثلاثة التي شقَّ طريقه فيها، ففي رحلته إلى جهة الغرب، قال تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾ (الكهف: ٨٥- ٨٦). وكذلك في رحلته إلى جهة الشرْق، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾ (الكهف: ٨٩- ٩٠). وأيضاً في رحلته إلى حيث يأجوج ومأجوج، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ (الكهف: ٩٢- ٩٣).

ومع أن القرآن الكريم بينَّ أن ذا القرنين تابع أسباب التمكين منذ أن انطلَق في رحلته الأولى، إلا أنه كرَّر ذِكر ذلك في كل رحلاته التالية: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾، ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾، وذلك ليرشدنا إلى أن تحقق التمكين يحتاج إلى متابعة، واستمراره يحتاج إلى تَعَهُّد، وإلا ضاع التمكين، وخَرُبَ الحال، وساء المآل.

وهنا ينبغي التَّنَبُّه إلى أن التمكين وإن كان أساس حصوله المَنْحُ الإلهي، إلا أن الله تعالى جعل سعي المُمَكَّنِ له في تَعَهُّده والمحافظة عليه سبباً في بقائه واستمراره، والنصوص القرآنية الدالة على ذلك كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾(محمد: ٣٨). وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران: ١٦٥).

قال السعدي: «فإذا اجتمعَت القدرة على السبب الحقيقي والعملَ به حصل المقصود، وإن عُدِما أو أحدهما لم يحصل»[1].

ومن أبرز أسباب المحافظة على التمكين وقوة المُلْك التي أشار إليها القرآن الكريم في قصة ذي القرنين: الصلاحُ وإقامة العَدْل، فذو القرنين كان مَلِكاً صالحاً عادلاً. قال

(١) السعدي، «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**»، ج٥ ص٧٣.

السعدي: «وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء، العادلين العاملين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد بما يليق بحاله»[1].

وقال أبو زهرة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾: «أي أنه يردف السبب سبباً لشيء آخر، وهكذا تتوارد أسباب العمل سبباً يتبع سبباً، أي: يجيء من بعده تابعاً له، وهكذا مُكِّن في الدنيا، إذ اتخذ سبيل الحق والعدل، يسلك الأسباب الموصلة بما آتاه اللَّه من العلم والإدراك، فإذا كان عادلاً منصفاً استقر حكمه، وانتظمت الأمور، وإذا انتظمت الأمور قويت الجماعة، واستقامت الأخلاق، وسادت الفضيلة، وانتصرت في الحروب، وإذا انتصرت أنصفت، وجلبت المصالح، ودفعت المضار، وهكذا تترادف الأسباب وتستقيم الأمور، وإنه بتوافر الخير واتخاذ الأسباب المكونة لدولة قوية عادلة، سار في الأقاليم فاتحاً ناشراً لواء العدل»[2].

ولكي يُحافَظَ على التمكين الوهبي لا بد من تَعَهُّد الجانب الكَسْبي، فمَنْ لم يُسْتَعْمَل لا بُدَّ وأن يُسْتَبْدَل، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾، ولا يَصْلُح آخِر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولا يتحقق التمكين بالتَّمَني فضلاً عن التَّوَلِّي، واللبيب هو مَنْ يسعى لإيجاد الفُرَص ولا ينتَظِر وجودها، وتقصير طرَفٍ يضاعف مسؤولية مَن يقابله، ووَصْف الحال لا يُغَيِّرُه، وكُلٌّ مسؤول بحَسْب حاله وما استرعاه الله، وينبغي أن تُوَجَّه الطاقات إلى ما يَخْدِم نَهْضة الأمة، ومعيَّةُ الله تعالى تُنَال مع الجُهْد وليس بدونه، والنُّصْرة توهَب من الله تعالى لِمَن أخَذَ بالأسباب، فكلُّ مَنْ قصَّهم القرآن الكريم علينا -سواء كانوا أنبياء أم غير أنبياء- ممن مَكَّن الله تعالى لهم سَعَوْا وقَدَّموا واجتهدوا وتابعوا، فالتمكين مِنْحةٌ لمن سعى لنيلها، والنُّصْرَة تأتي مع الجُهْد، وبعَدَمِه العَدَم.

---

(١) السعدي، «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**»، ج٥ ص٧٥

(٢) أبو زهرة، «**زهرة التفاسير**»، ج٩ ص٤٥٧٨.

المطلب الثالث: مُقَوِّم عدم الركون إلى المال

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (الكهف: ٩٤).

وإن كان المال في أصله نعمة سخرها الله تعالى لعباده، إلا أن المال إن وُضِعَ في يد من يسيئون استعماله فإنه ينتج عن ذلك أضرار عظيمة على مستوى الفرد والأمة، ولعل من أبرز الأضرار الناتجة عن سوء استعمال المال ما يلي:

الأول: إضعاف علاقة العبد بربه، واستغناؤه عنه، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ (العلق: ٦- ٧).

جاء في تفسير المنار: «المغرور إنما يصده عن اتباع الحق أو النظر في دليله الاستغناء بما هو فيه من النعم وأعظمها الأموال والأولاد، فالذي يرى نفسه مستغنياً بمثل ذلك قلَّما يوجِّه نظره إلى طلب الحق أو يصغي إلى الداعي إليه، أي: ومن لم يوجه نظره إلى الحق لا يبصره، ومن لم يبصره تخبط في دياجير الضلال عمره حتى يتردى فيهلك الهلاك الأبدي، ولا ينفعه في الآخرة ماله فيفتدي به»[1].

قال الشعراوي: «وأول الخيبة أن تشغلك النعمة عن المنعِم، وتظن أن ما أنت فيه من نعيم ثمرةُ جهدك وعملك، ونتيجة سعْيك ومهارتك، كما أخبر الله تعالى عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ (القصص: ٧٨)»[2].

الثاني: إضعاف علاقة العبد بمن حوله، فيحصل له الطمع والجَشَع، وتدفعه الأنانية وحُبُّ التَّمَلُّك إلى النَّظَر في مصالح نفسه، وحسَد غيره، وقد تكرَّر الحديث عن الضرَّر المترتب على الاغترار بالمال وسوء استخدامه في القرآن الكريم، من ذلك ما ورد في قصة أصحاب الجنة، قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ (القلم: ٢٣- ٢٤)، فيا لله كم هو ساذج محروم ذلك الذي يحسب حساب النَّظَر ويُكَذِّب الخَبَر؛

---

(١) رضا، محمد رشيد، (ت: ١٣٥٤هـ)، «**تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج٤ ص٦٢.

(٢) الشعراوي، «**تفسير الشعراوي**»، ج١٤ ص٨٩٠٢.

ويعميه اليقين على الموجود عن إدراك كمال الموعود، وأن ما عند الله خير وأبقى؛ لكنه المال يدخل قلب صاحبه قبل أن يدخل جيبه، فهيهات له أن يصحوا من سكرته ويدرِكُ أن الاستغناء عن المال أهون من الاستغناء عن العلاقات والوُدِّ، وأن المال يُبْذَلُ في سبيل إبقاء الوُدِّ بين أصحاب الدائرة الأوسع في المُجْتَمَع فضلاً عن الدائرة الأضيق من أهل وأقرباء..

الثالث: إضعاف القوى على مستوى الفرد والأمة، وذلك من وجهين:

الركون إلى المال سبب في الاستغناء عن مقومات القوة والعزة، فيستخدم المال في متابعة الشهوات، وإرضاء الرغبات، والنزول عند حظوظ النفس.

كثرة طمع الطامعين، والساعين وراء المال من خلال السعي وراء مالكه، فالسلطان أقوى من المال، خصوصاً حينما لا يُسْتَعمَل المال في السلطان إيجاداً وبناءً.

وبالنظر إلى القوم المؤمنين الذي تأذَّوْا من يأجوج ومأجوج، فإنهم يملكون المال؛ لكنهم لم يوظفوه فيما يخدم عِزَّتَهم، ويقوي شوكتهم، ويعلي مَنَعَتَهم، فباتوا مُسْتَهدَفين، ضعفاء، يبحثون عمن يبذلون له أموالهم مقابل حمايتهم، فَصَغُرَت قيمة أموالهم أمام ضعف شوكتهم، وما إن وصَلَهم ذو القرنين حتى عرضوا أموالهم عليه ليحميهم: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (الكهف: ٩٤)؛ ولو رأوْا في المال الذي لم يحسنوا توظيفه مَنَعَة لهم ما عرضوه على ذي القرنين ابتداءً.

وعند قراءتنا لسورة الكهف ومرورنا على قصة هؤلاء الذين استغاثوا بذي القرنين فإن شعور الاستغراب من حالهم يصاحبنا، وتساؤلات الاندهاش من مدى ضعفهم تستوقفنا، وما أشبه حالهم بأمتنا اليوم، مع وجود مفارقات بيننا وبينهم امتازوا بها علينا، فَهُم عرَضوا أموالهم على قائد صالح أهلٍ للاستعانة به؛ ليدفَعَ عنهم عدواً خارجياً ظاهر العداوة، وإنْ أَظْهَرَ هذا ضَعْفَهُم من جِهَة المَنَعَة إلا أنه أظهَرَ وحْدَتَهُم في تحديد عدوِّهم باتفاق، أما المسلمون اليوم فيبذلون أموالهم لمن يَقْتُلُهم، ويحارب قِيَمَهُم، ومسلَّمات دينهِم، وليتهم بذلك يدفعونه عنهم، وآلَمُ من ذلك أنهم يستعينون بعدوِّهم على بعضهم البعض، فما أصعبها من معادلة! وما أشدَّ ألمها من أحوال آل

إليها عالَمُنا المسلم.

وبالنَّظَر إلى المعطيات التي نَمْلِكُها، فنحن نَمْلِك الموارد البشرية، والعقول النَّيِّرة، والمقدَّرات الطبيعية، والثروات بشتى أنواعها، ونملك قبل ذلك كله الدِّين العظيم الذي نظَّم حياتنا، وأرسى قواعد عِزَّتنا، إلا أننا نشدنا العِزَّة في غير طريقها، وطلَبناها من غير واهبها..

إن التمكين خيوط متماسكة، منظومة بطريقة لا تَسْمَح بضَعْف أو انقطاع في جزء من نسيجها حتى لا يؤتى عليها من قِبَلِه، فكيف إذا اتَّسَع الخرق على الراقع، واحتار الناظم لها من أين يبدأ! بل كيف إذا كان المُفْسِدون كُثُر، والمُصْلِحون قِلَّة! وكيف إذا تخاصم المُصْلِحون كلٌّ يريد أن يُصْلِح بطريقته مراعياً أولوياته، مُقَدِّماً أهواءه ومصالحه، مُتقاطِعاً مع أفكار غيره..

قال ابن كثير: في تفسير قوله تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: «قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَجْرًا عَظِيمًا يَعْنِي أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَجْمَعُوا لهم من بينهم مالاً يعطونه إياه حتى يجعل بينه وَبَيْنَهُمْ سَدًا. فَقَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ بِعِفَّةٍ وَدِيَانَةٍ وَصَلَاحٍ وَقَصْدٍ لِلْخَيْرِ: مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ. أَيْ: إِنَّ الَّذِي أَعْطَانِي اللهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالتَّمْكِينِ خَيْرٌ لِي مِنَ الَّذِي تَجْمَعُونَهُ. كَمَا قَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ (النمل: ٣٦)، وَهَكَذَا قَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ: الَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي تَبْذُلُونَه»[1].

المطلب الرابع: مُقَوِّم التَّعَلُّق بأن الفضل يأتي من عند الله تعالى

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ (الكهف: ٩٥)، ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ (الكهف: ٩٨).

فالدولة القوية لا تزال بخير ما دامت متعلقة بالله تعالى القوي، مُقِرَّة أن الفضل بيده، وأنه يمنحه بفضله لمن شاء من عباده، ومتى نُسِب الفضل إلى المخلوقين دون الخالق، تُرِكوا لأنفسهم.

---

(١) ابن كثير، «**تفسير القرآن العظيم**»، ج٥ ص١٧٥.

والتَّعَلُّق بالله وإرجاع الفضل إليه ليس مسؤولية فردية، أو عملاً ذاتياً فقط، وإنما هو مسؤولية الفرد والجماعة، الحاكم والرعية، بل إن الكُلَّ يؤخذ بزلَّة القلة فيه، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ (التوبة: ٢٥)، عِلْماً أن الذين قالوا: «لن نُغْلَب اليوم من قِلَّة» هم قِلة.

قال سيد قطب: «وتبعاً للمنهج الصالح الذي أعلنه ذلك الحاكم الصالح من مقاومة الفساد في الأرض فقد رد عليهم عرضهم الذي عرضوه من المال؛ وتطوع بإقامة السد»[١].

وقال السعدي: «فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليها، وقال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾، أي: من فضله وإحسانه عَلَيَّ»[٢].

وقال سيد قطب: "ونظر ذو القرنين إلى العمل الضخم الذي قام به، فلم يأخذه البطر والغرور، ولم تسكره نشوة القوة والعلم؛ ولكنه ذكر الله فشكره، ورد إليه العمل الصالح الذي وفقه إليه، وتبرأ من قوته إلى قوة الله، وفوض إليه الأمر. ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾»[٣].

وهذه حال الخلفاء والصالحين، إذا مَنَّ الله عليهم بالنعم الجليلة ازداد شكرهم وإقرارهم واعترافهم بنعمة الله تعالى، كما قال عن سليمان – عليه السلام – لما حضر عنده عرش مَلِكَة سبأ مع البُعْد العظيم، قال: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل: ٤٠). بخلاف أهل التَّجَبرُّ والتَّكَبرُّ والعلو في الأرض فإن النِّعَم الكبار تزيدهم أشراً وبطراً، كما قال قارون لما آتاه الله من الكنوز: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ﴾ (القصص: ٧٦)، قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ (القصص: ٧٨).

إن ما منحه الله تعالى لذي القرنين من سلطان ومنَعَة ومُلْك، لم يزد ذا القرنين إلا تَعَلُّقاً بربه، وافتقاراً لمعيَّته، وقوة المسلم على العَالَمِين بإظهاره ضَعْفه لله تعالى.

---

(١) سيد قطب، «**في ظلال القرآن**»، ج٤ ص٢٢٩٢.
(٢) السعدي، «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**»، ج١ ص٤٨٦.
(٣) سيد قطب، «**في ظلال القرآن**»، ج٤ ص٢٢٩٣.

المطلب الخامس: مُقَوِّم توظيف الطاقات واستخراج المكنونات وعدم التواكل على الغير

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، (الكهف: ٩٥)، ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾(الكهف: ٩٦)، ﴿ٱنفُخُوا۟﴾، (الكهف: ٩٦)، ﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ (الكهف: ٩٦).

ويُعَدُّ هذا المُقَوِّم من أهم الخطوات العملية القائمة على مبدأ الأخذ بالأسباب في نهوض الأمم وبنائها بناءً متيناً.

لقد كان باستطاعة ذي القرنين أن يبني لهم الردم دون إشراكهم العمل فيه؛ لكنه أراد أن يصنع منهم قوة تحمي نفسها بنفسها، بل وتُصَدِّر القوة لمن أراد الحماية، وكان باستطاعته أيضاً أن يُرشِدَهم دون أن يُشْرِكَهُم؛ لكنه جعَلَهُم يعملون معه، وتحت إشرافه، فاستفادوا الخِبرة والمهارة مع تفادي الأخطاء أو تصويبها.

لقد أدرَك ذو القرنين أن الطريقة المثلى لتحريك عقول قوم: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾؛ إنما تكون بتحريك أجسامهم، وكما يقال: «العقل السليم في الجسم السليم»، وهذا ما استعملهم فيه: (تحريك أجسامهم لقيام عقولهم): ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾، ﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾.

ومن جمال النص القرآني أن القرآن الكريم قدَّم ذِكْر طلب ذي القرنين منهم العَوْنَ له على بيان نوع العمل الذي سيستعملهم فيه، فقال تعالى أولاً: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، ثم قال بعدها: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾؛ وهذا التقديم يدل على أهمية إشراكهم في العمل بغض النَّظر عن نوعه.

وبالنَّظَر إلى واقعنا اليوم فإننا نرى جَلِيّاً مدى حاجة المسلمين للاستفادة من منهج القرآن الكريم في التعافي والنهوض، خصوصاً أن الله تعالى حبى أمتنا بجميع مقومات القوة والتمكين، سواء المقومات الوهبية أو الكسبية أو التوجيهية، فنحن نملك المقدرات الوهبية من مواقع وتضاريس وموارد طبيعية وبشرية. ونملك المقدرات الكسبية من عقول، وطاقات جسدية قابلة للاستثمار والإبداع. ومن الناحية التوجيهية فإن القرآن الكريم والسنة النبوية لم يتركا توجيهاً لبناء الأمة إلا أظهراه، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾(طه: ١٢٣).

وليس مُسْتغرباً أن تتوفَّر فينا مقومات التمكين دون تحققه؛ ذلكم أن هذه المقومات موجدة دون توظيف، فهي مقومات مبعثرة، تحتاج إلى نَظم مُنْتَظَم، تحتاج إلى من يتحمل مسؤولية جمعها، تحتاج إلى رموز قدوات يصنعون التغيير، وإلى أتباع يناصرونهم في تحقيقه والمحافظة عليه..

وهذا ما تنبَّه إليه ذو القرنين مع مَن بنى لهم الردم، فكان سداد رأيه يكْمُن في إشراكهم. إذن فالأمة لا تحتاج أن يصنَع مجدَها أقوامٌ ويقعد آخرون متفرجين أو ناقدين، فضلاً عن أن يكونوا مُثَبِّطين أو مُعَوِّقين، بل لا بد من فزعة لجميع أفرادها، فزعة تُشْعِر المتثاقل أنه شاذٌّ مذمومٌ، قليلٌ نادرٌ لا حُكْم له، تُشعِره بالحسرة والنَّدم.

قال الشعراوي: «وقول الحق سبحانه وتعالى على لسان ذي القرنين: «أعينوني» يعطينا كيفية إدارة العدل في الكون، فذلك الذي أعطاه الله الأسباب إن أراد أن يعين الضعفاء فعليه أن يشركهم في العمل معه، ولا يعمل هو وهم يتفرجون وإلاَّ تعودوا على الكسل فتفسد همة كل منهم. ولكن إذا جعلهم يعملون معه سيتعلمون العمل ثم يتقنونه فتزداد مهارتهم وقوتهم في مواجهة الحياة؛ لذلك نجد أن ذا القرنين أشرك معه الضعفاء، وقال لهم: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾.

إذن فقد جعلهم يعملون معه ويبنون، وهذه أمانة القوي فيما آتاه الله تعالى من القوة، بل إننا نجده قد تفاهم معهم رغم أن الحق تبارك وتعالى قال فيهم: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾»[1].

(١) الشعراوي، «**تفسير الشعراوي**» ج٨ ص٤٨٧٢.

المطلب السادس: مُقَوِّم حاجة القوة إلى التَّعَهُّد والمتابعة للمحافظة عليها وإبقائها

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾(الكهف: ٩٨).

وهذا المُقَوِّمُ مبني على الأخذ بالأسباب، فالقوة تحتاج إلى المتابعة والتَّعَهُّد؛ وإلا فسرعان ما تنهار وتتآكَل وتهترئ، فيأجوج ومأجوج كانوا غالبين فأمسَوْا مغلوبين، والمسلمون الذين تأذَّوْا منهم كانوا مغلوبين فأصبحوا غالبين..

ويأتي جمال القرآن العظيم هنا في توجيهه للأمة المسلمة أن تبقى محافظة على هيبتها بالتوكل على الله تعالى أولاً: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾(الكهف: ٩٨)، ومتابعة الأسباب دون توَقُّف ثانياً: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

ومن التوجيهات اللطيفة للآية الكريمة عَدَم الاغترار بالمنعة والقوة، قال الشعراوي: «ذلك لكي لا يغترون به ولا يتمردون على غيرهم بعد أن كانوا مُسْتَذَلِّين مُسْتَضعَفين ليأجوج ومأجوج، وكأنه يُعْطيهم رصيداً ومناعة تقيهم الطغيان بعد الاستغناء»(١).

وصحيح أن الأيام دُوَلٌ بين الناس، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾(آل عمران: ١٤٠)، إلا أن الأمم تتفاوت قوة وبقاءً بحسب قيامها على مقومات عِزَّتها وقوتها، ويا لسوء ذِكْرِ من سجَّل لهم التاريخ أنهم كانوا وراء ضعف الأمة وانهزامها، فكانوا سبب النَّقْص بعد التمام.

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾: «لأنه يعلم أن كل حادث صائر إلى زوال؛ ولأنه علم أن عملاً عظيماً مثل ذلك يحتاج إلى التعهد والمحافظة عليه من الانهدام، وعلم أن ذلك لا يتسنى في بعض أزمان انحطاط المملكة الذي لا محيص منه لكل ذي سلطان»(٢).

---

(١) الشعراوي، «**تفسير الشعراوي**»، ج١٥ ص٨٩٩٣.

(٢) ابن عاشور، «**التحرير والتنوير**»، ج١٥ ص١٣٧.

الخاتمة

الحمد لله تعالى له الكمال المُطْلَق، لا عِصْمَة إلا لكتابه، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على النبي الذي أقام الله به الدِّين، فانتشر وظهر، وعلى أعداءِ اللهِ ظَهِرَ، وعلى آله وصحبه الأطهار، الذين رفعوا القرآن شعاراً، وحَكَّموه في كل الأمور الصغار والكبار، وعلى من تبعهم من العلماء الأخيار، الذين كشفوا عما في القرآن من المعاني والأسرار، وسهلوا للناس التَدَبُّر والادِّكار، وسلَّم تسليماً دائماً ما تعاقب الليل والنهار، وبعد:

فقد يَسرَّ الله تعالى إتمام هذا البحث العلمي، المتعلق بواحدٍ من فروع التفسير الموضوعي، وهو: «**مقومات الدولة القوية كما تعرضها قصة ذي القرنين**»، وقد تم التوصل من خلاله إلى النتائج التالية:

أولاً: الكشف عن بعضِ حِكَم ورود قصة ذي القرنين بصورة مجملة.

ثانيا: إبراز شمولية القصص القرآني وتنوع ما يمكن استخراجه منها.

ثالثاً: الاستفادة من منهج القرآن الكريم في بناء القوة وتعهُّدِها من خلال قصة ذي القرنين.

رابعاً: إظهار مدى الحاجة إلى الوحي في حفظ التاريخ والاستفادة منه.

التوصيات:

أولاً: قيام دراسات شمولية للاستفادة من منهج القرآن في بناء الأمة بناءً متيناً، وإبقائها في الصدارة من خلال القصص القرآني.

ثانياً: تبني الدولة المسلمة مسؤولية ما تم استخراجه واستنتاجه من مقومات والعمل على بناء قوة تَقْهَر ولا تُقْهَر مستفيدة من منهج القرآن الكريم.

ثالثاً: عقد مؤتمرات لبناء الوحدة والقوة في الأمة الإسلامية مستفيدين من منهج القرآن.

المصادر والمراجع

١. الألباني، محمد بن ناصر الدين، (ت: ١٤٢٠)، «**صحيح الجامع الصغير وزيادته**»، المكتب الإسلامي.

٢. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت: ١٢٧٠هـ)، «**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**»، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط: ١)، ١٤١٥هـ.

٣. الأندلسي، عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، (ت: ٥٤٢هـ)، «**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**»، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط: ١)، ١٤٢٢هـ.

٤. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، «**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**»، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، (ط: ١)، ١٤٢٢هـ.

٥. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، (ت: ٢٧٥هـ)، «**سنن أبي داود**»، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٦. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ت: (٦٦٦هـ)، «**مختار الصحاح**»، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية– الدار النموذجية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ.

٧. رضا، محمد رشيد، (ت: ١٣٥٤هـ)، «**تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** »، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٨. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، ت: ١٣٩٤هـ، «**زهرة التفسير**»، دار الفكر العربي.

٩. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**»، تحقيق: محمد زهري النجار، المؤسسة السعدية، الرياض.

١٠. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، (ت: ٩٨٢هـ)، «**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم**»، تحقيق: خالد عبدالغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط: ١).

١١. الشعراوي، محمد متولي، ت: ١٤١٨هـ، «**تفسير الشعراوي**»، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

١٢. الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد، «**تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم -أنواعه - شروطه وأسبابه - مراحله وأهدافه-**»، مكتبة الصحابة، الشارقة - الإمارات، مكتبة التابعين، مصر، القاهرة، (ط: ١)، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٣. الطبري، محمد بن جرير، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط ١٤٢٠هـ.

١٤. طنطاوي، محمد سيد، «**التفسير الوسيط للقرآن الكريم**»، دار المعارف، القاهرة.

١٥. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت: ١٣٩٣هـ)، «**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**»، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٦. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، (ت: ٦٧١هـ)، «**الجامع لأحكام القرآن**»، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب

المصرية، القاهرة، (ط: ٢)، ١٣٨٤هـ.

١٧.قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، (ت: ١٣٨٥هـ)، «**في ظلال القرآن**»، دار الشروق، بيروت، القاهرة، (ط: ١٧).

١٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، «تفسير القرآن العظيم»، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط: ١، ١٤١٩هـ.

١٩.ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، ت: ٧١١هـ، «**لسان العرب**»، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٠.النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١هـ)، «**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**»، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المجلات:

١. «**مجلة المجتمع**» ، **الكويت**، العدد: ١٢٤٩، بتاريخ: ٦محرم، ١٤١٨هـ، ١٣/ ١٩٩٧/٥م.